يوم الفداء... يوم تصبح الشهادة رحماً خصبةً لانبثاق الولادة

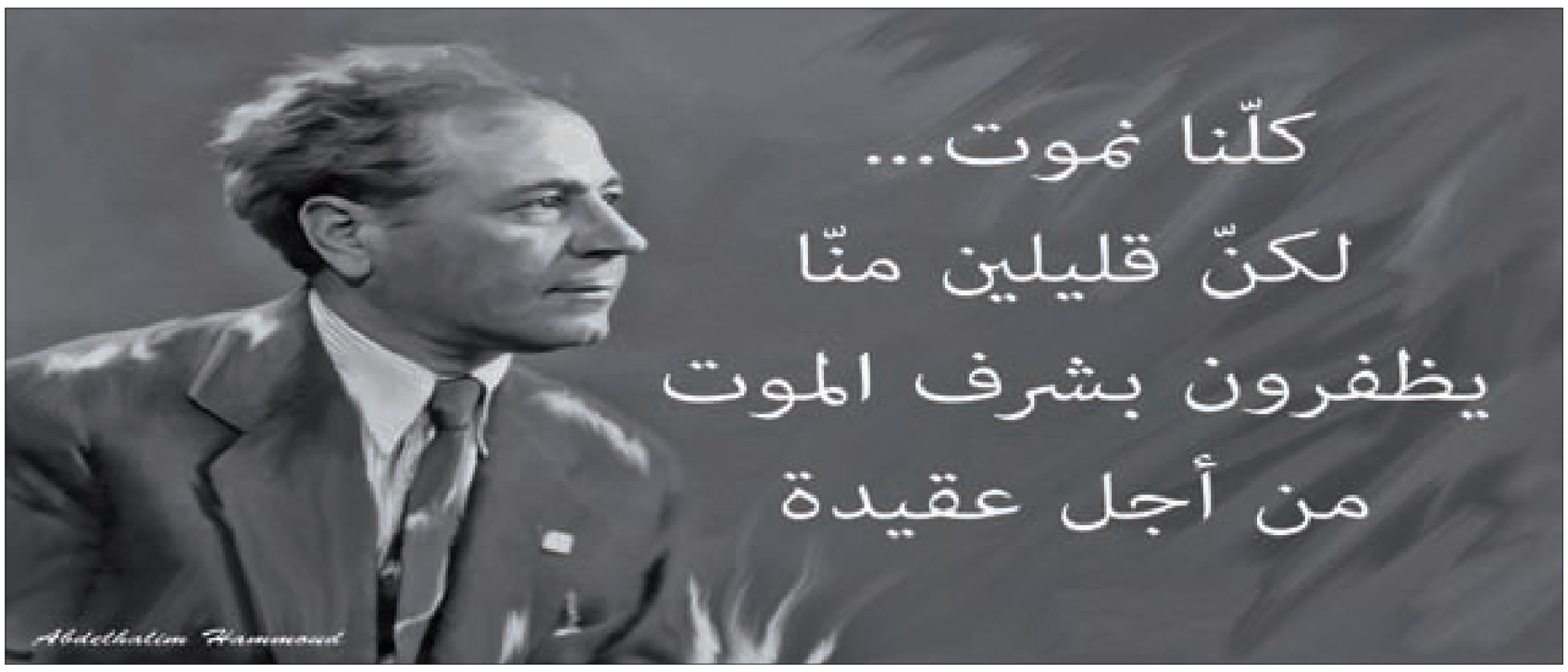

إنّه الثامن تمّوز... يوم الفداء. اليوم الذي يمجّد فيه السوريون القوميون الاجتماعيون شهداءهم الذين قدّموا دماءهم على مذبح الحرّية، وذوداً عن الوطن.

إنّه ذكرى استشهاد أنطون سعاده، الذي أضاف إلى الألقاب التي عُرف بها واستحقّها، لقباً جديداً عزيزاً سامياً راقياً... هو الشهيد.

فهو الزعيم، بعدما جرّد الزعامة من معانيها المتزمّتة القبلية العشائرية، وأصبغها بمسؤولية خطيرة، إذ بموجبها وقف نفسه على أمّته ناذراً لها حياته. وهو المفكر المستشرف القارئ كلّ ما يحصل ليصوغ رؤية مستقبلية سرعان ما تثبت صوابيتها. وهو الفيلسوف، والفادي، والأديب، والفنان... إنّه ـ وكما قال الراحل عبد الله قبرصي ذات مقابلة ـ مجموعة عباقرة في عبقري واحد.

في الثامن من تمّوز، ذكرى استشهاد الزعيم أنطون سعاده، اغتيالاً على رمال بيروت، بقرار غربيّ ـ صهيونيّ، وبتنفيذ حكوميّ لبنانيّ ـ سوريّ. في هذه الذكرى النبراس، يكتب أصدقاء «البناء»، موضحين أهميّة هذه الذكرى، وأثرها في نفوسهم. كما تعيد «البناء» نشر مقال «حدّثني الكاهن الذي عرّفه» للراحل الكبير سعيد تقيّ الدين، لكي يعرف مَن لم يعرف بعد، كيف اغتيل سعاده وبعض ما قاله قبيل استشهاده.

حدّثني الكاهن الذي عرّفه

■ سعيد تقيّ الدين

خطاب لم يلق. أُعدّ ووُزّع مناشير في ليل 8 تموز. استجوبني الأمن العام بشأنه في اليوم التالي. ودخل السجن بسببه عشرات الشبان. ولكنه بعد ذلك، صار يلقى علناً وينشر في الصحف.

تلقّاني صبيان الحيّ بصراخ الهزء حين ترّجلت، وراح أحدهم يتباهى مذيعاً أنّ التاكسي اسمها «فورد»، وأعلن ترب له أنّ لونها رماديّ، فيما ضجّ جمهورهم بإخباري، قبل أن أسألهم، أنّ الكاهن ليس هناك. بل إنّ أحدهم تسلق السلّم وفتح باب العلّية من غير أن يطرقه ثم أطلّ من نافذتها ضاحكا: «أرأيت؟ إنّه غير موجود».

ذلك لأنّ شياطين الحيّ الصغار صاروا يعرفون عمّن أسأل وأصبح يروقهم أنّني لا أجد من أفتش عنه. ولعلّهم لمحوا من تذمّري ومن خيبتي ما استثار فيهم السادية، فجاء جذلهم على نسبة ما تجلّى عليّ من زعل وضياع أمل.

فلقد كانت تلك المرّة الرابعة التي قصدت فيها إلى رجل الدين لأستطلعه السرّ الرهيب.

وفي المرّة الخامسة، توجّهت إليه ليلاً وعلى موعد، فكان هناك. وحالاً امّحت من ذهني صورة رسمها خيالي، فلم أجد نفسي أمام شيخ متداع أبيض اللحية، ولم أسمع صوتاً متهدّجاً، ولا صرعتني مظاهر الوقار وكلمات أبوّة، وجلسنا تحزّ مسامعي توافه الأحاديث التي تعوّد الناس مبادلتها فور اجتماعهم. وطالت النزهة الكلامية على شاطئ الموضوع، وبرح بي القعود على عتبة باب جئت لأفتحه، فوثبت إلى الهدف مقاطعاً المحدّثين قائلاً: «حدّثني يا محترم عن ليل 8 تموز 1949».

وغاظني من رجل الدين أنّه لم يتلبس حالاً بمظاهر التهيّب، بل بدأ الكلام، بشيء من غير الاكتراث. ولكنّ صوته ولهجته وخشوعه وانفعاله بل وبكاءه، كلّها تماوجت مع وقائع ماكان يرويه، فكأنه عبقريّ يعزف من موسيقاه قطعة رائعة على البيانو. فدغدغت أنامله أصابع العاج أولاً بعفوية لا تبالي، وتوالت الألحان تتأرجح وتتسامى متجانسة متضاربة متوافقة حتى بلغت ذروة موسيقى من غير هذه الدنيا. فإذا نحن في العلية نكاد لا نسمع ما يقول، ولا نرى البيانو ولا اللاعب ولا نعي الألحان. بل شعرنا أنّ جدران الغرفة انفتحت وارتفعت أرضاً بمن فيها، فإذا نحن و «سعاده» في السجن، في الكنيسة، في المقبرة، في حفرة من الأرض، في مسمع الدنيا، بين المغتربين، في القصور، في المحكمة العسكرية، في المفوضيات، في غصة القلوب، في عبسة المغاور، في لوعة المعاقل، في رصانة التهذيب، في هدوء البطولة، في عزّة الصراع، بين يدَيْ الكبر، أمام الجلادين، في طمأنينة المؤمن، في كهف الغدر، حراب تطارد المجرمين، أعلام تصفّق للجيوش، زوبعة تمحق، وصرخة تعكس موكب التاريخ.

وتناول رجل الدين ورقة من مطاوي جلبابه الأسود الفضفاض منتزعةً من دفتر مدرسيّ، وهمّ بقراءتها، فاعترضته وقلت: «أسمعني حديثك لا تقرئني أوراقك، ولو كانت مذكّرات».

فراح يتكلم: «حين فتحت الباب على صوت القرع الشديد في منتصف ذلك الليل، وجدت نفسي أمام ضبّاط من الجيش يطلبون إليّ أن أرتدي ملابسي وأحمل صليبي وعدّة الكهنوت بسرعة. قلت: ما الخبر؟ أجابوا: سنعدم أنطون سعاده هذه الليلة. ونريد أن تعرّفه وتقوم بمراسم الدين قبل إعدامه. قلت: إنّ أمراً كهذا لا يسعني أن أفعله، آتوني بإذن من سيادة المطران، هكذا ينصّ قانوننا الكنائسي. قالوا: ليس لدينا من وقت، إفعل هذا على مسؤوليتنا نحن. فاعتذرت من جديد. وراحوا يلحّون عليّ مردّدين أنّ خرق النظام الكنائسيّ هو أقلّ ضرراً من أن يرسَل مسيحيّ إلى الموت غير متمّم واجباته الدينية.

وأخيراً، أذعنت بكثير من التردّد والحيرة، وركبت سيارتهم في طرقات تعجّ برجال الأمن من جنود وبوليس ودرك وأسلحة مشرعة، وأطللنا على سجن الرمل، فإذا هو مُنارٌ من الداخل والخارج، ونزلنا حيث كان ضبّاط آخرون بانتظارنا.

وأقبل عليّ مدير السجن يعرّفني إلى نفسه، وأخبرني أنّ هذا هو الإعدام الثالث عشر الذي مرّ به، وأنّ الأمر بسيط فأجبته: «لقد مضى عليّ ثلاث عشرة سنة في الثوب الكهنوتي، وهذا أوّل إعدام سأشهده»، وكان الطبيب الذي اشترك معنا في الحديث مثلي، لم يشهد إعداماً في ما مضى.

وزاد مدير السجن فقال: «إنّ هذا المحكوم الخائن أنطون هو رجل خائن، وكافر ملحد يبشّر بالكفر والإلحاد، إنه لن يأبه لك يا أبانا هذا الخائن الملحد الكافر».

ودخلنا حيث كان الزعيم، في حبس من الغلو نعته أنه غرفة، فوجدناه مفترشاً بساطاً من قُذارة ورقع، وكان هذا الفراش أقصر من قامته، فجعل من جاكيته وصلة بين الفراش والحائط كي لا ترتطم به قدماه. وكان نائماً نوماً طبيعياً، ورأسه على ذراعه اليسرى التي جعل منها بديلاً عن مخدة لم تكن هناك.

وأيقظناه فنهض حالاً، وبادرنا السلام، وخصّني بقوله: «أهلاً وسهلاً يا محترم»، فأبلغناه أنه لم يصدر عنه عفوٌ وأنّ الإعدام سينفّذ به حالاً. فشكرنا باسماً رزيناً، واستأذن بلبس جاكيته التي كانت مطويّة تحت قدميه، فأذنوا له، فشكرهم من جديد، ولبسها.

وخلوت به، وسألته إن كان يودّ أن يقوم بواجباته الدينية، فأجاب: لم لا؟ وطلبت إليه أن يعترف، فأجاب: ليس لي من

خطيئة أرجو العفو من أجلها، أنا لم أسرق، لم أدجّل، لم أشهد بالزور، لم أقتل، لم أخدع، لم أسبب تعاسة لأحد.

وبعد أن فرغت من المراسيم الدينية، تركنا الغرفة فكبّلوا يديه، وخرجنا إلى مكتب السجن. هناك طلب أن يرى زوجته وبناته، فقيل له ذلك غير ممكن، وقدّموا له ترويقة فاعتذر شاكراً، ولكنه قبل فنجان القهوة متناولاً إياه بيمناه وأسنده بيسراه، وكانت تُسمع للقيد رنّات كلّما ارتطم بالفنجان.

وكان الزعيم يبتسم صامتاً هادئاً مجيلاً عينيه من وجه إلى وجه وكأنه يودّعنا مهدّئاً من روعنا. هنا انفجرت أنا بالبكاء، وبكى معي بعض الضبّاط، بل إنّ أحدهم أجهش وانتحب.

وبعد أن شرب القهوة، عاد يصرّ على لقاء زوجته وبناته، فسمع الجواب السابق.

وسُئل لمن يريد أن يترك الليرات الأربعمئة التي وُجدت معه، فأجاب أنها وقطعة أرض في ضهور الشوير هي كل ما يملك، وهو يوصي بها لزوجته وبناته بالتساوي.

وطلب مقابلة الصحافيين، فأخبروه أنّ ذلك مستحيل، فسألهم ورقة وقلماً، فرفضوا، فقال: «إنّ لي كلمة أريد أن أدوّنها للتاريخ». فصرخ به أحد الضبّاط منذراً: «حذار أن تتهجّم على أحد، لئلا نمسّ كرامتك». فابتسم الزعيم من جديد وقال: «أنت لا تقدر أن تمسّ كرامتي، ما أعطي لأحد أن يهين سواه، قد يهين المرء نفسه»، وأردف يكرّر: «لي كلمة أريد أن أدوّنها للتاريخ، وأن يسجّلها التاريخ».

فسكتنا جميعاً، في صمت يلمس سكونه ويسمع دويه. أصارحك أنني كنت في دوّار من الخبل، ومن المؤكد أنني لا أعي كلّ ما سمعت، ولكن الراهن أني سمعته، سمعته يقول: «أنا لا يهمني كيف أموت، بل من أجل ماذا أموت. لا أعدّ السنين التي عشتها، بل الأعمال التي نفذتها. هذه الليلة سيعدمونني، أما أبناء عقيدتي فسينتصرون وسيجيء انتصارهم انتقاماً لموتي. كلّنا نموت، ولكن قليلين منّا يظفرون بشرف الموت من أجل عقيدة. يا خجل هذه الليلة من التاريخ، من أحفادنا، من مغتربينا، ومن الأجانب، يبدو أنّ الاستقلال الذي سقيناه بدمائنا يوم غرسناه، يستسقي عروقنا من جديد».

ومشينا إلى حيث انتظرنا السيارات، والزعيم ماش بخطى هادئة قوية يبتسم، إنه لم ينفعل، كأنّ الإعدام شيء نفّذ به مرّات عديدة من قبل. إنّه لم ينفجر حنقاً أو تشفياً. إنّه لم يتبجّح شأن من يستر الخوف. في تلك اللحظة، وددت لو خبّأته بجبّتي، لو تمكّنت من إخفائه في قلبي أو بين وريقات إنجيلي. إنّ عظامي لترتجف كلّما ذكرته.

وحين خرجت إلى الباحة رأيت إلى يميني تابوتاً من خشب. من خشب الشوح، لم يخفِ الليل بياضه. وتطلّع الزعيم إلى نعشه فلم تتغير ملامحه ولا ابتسامته. وقبل أن يرقى الـ«جيب»، طلب للمرّة الثالثة والأخيرة أن يرى زوجته وأولاده. وللمرّة الثالثة والأخيرة، سمع الجواب نفسه. فتبيّنت ملامحه، وفي تلك اللمحة العابرة فقط من عمر ذلك الليل لمحت وميض العاطفة خلال زوبعة الرجولة.

وسارت الـ«جيب» بالزعيم يحفّ به الضبّاط وخلفه تابوته، وقافلة سيارات وشاحنات من ورائه وأمامه ملأى بالجنود المسلحين. ولعلّ مسّاً من البله اعتراني، فبدا لي أنّ تنفيذ الإعدام سيؤجّل، أو أنّ عفواً سيصدر. سيطر عليّ هذا الوهم فخدّرني، حتى انحرفنا عن الطريق العامة إلى درب ضيقة بين كثبان. ووقفنا في فجوة بين الرمال كأنّها فوهة العدم. وقفز من بينهم، مكبّلاً، إلى عمود الموت المنتظر، فاقتربوا منه ليعصبوا عينيه، فسألهم أن يبقوه طليق النظر، فقيل له: «القانون». أجاب: «إنني أحترم القانون».

وأركعوه وشدّوا وثاقه إلى العمود. وكأنّ الحصى آلمته تحت ركبته فسألهم إن كان من الممكن إزالة الحصى، فأزالوها، فقال لهم: «شكراً، شكراً»، ردّدها مرّتين، وقطع ثالثتها الرصاص. فإذا بالزعيم وقد تدلّى رأسه وتطايرت رئته، وتناثرت ذراعه اليسرى، فلم يعد يصل الكف بالكتف إلا جلدة تتهدّل.

وكوّموا الجثة في التابوت، وتسارعت القافلة نحو المقبرة، وهناك كادوا يدفنونها من غير صلاة لو لم يتعالَ صياحي. أخيراً قالوا لي: «صلّ، إنما أسرع، أسرع، صلّ من قريبه». ودخلنا الكنيسة، ووضعنا التابوت على المذبح، ورحت أصلي، والدم يتقطّر من شقوق الخشب، ويتساقط على أرض الكنيسة نقاطاً نقاطاً، ليتجمّع ويتجمّع ثم يسيل تحت المذبح.

وخرجنا من المعبد، ووقفت أمام بابه أواجه الفجر الذي أطلّ وأناجي الله، وأسمع رنين الرفوش ترتطم بالحصى وتهيل التراب، وترتطم بالحصى وتهيل التراب».

بذا حدّثني الكاهن الذي عرّفه. أقول لك إنّ تراب الدنيا لم يطمر تلك الحفرة. أقول لك إنّ رنين الرفوش في ذلك الفجر سيبقى النفير الداوي ليقظة هذه الأمة. أقول لك إنّ منارة الحياة قد ارتفعت على فوهة العدم.

محطّات تمّوزية

■ أميّة درغام

حسناً، أضحت الذكرى طقساً كما المناسبات الدينية. لا ضرر في ذلك. فالدين معتقد قاموسياً، والطقوس تحمل رموزاً معبّرة عن نفسية منفّذيها، وشيء ـ وربما كثيراً من الشيء ـ من العاطفة.

لكن الطقوس المرافقة تذهلنا أحياناً إذا ما توقفنا قليلاً أو كثيراً للتأمل بها. أحياناً، تتحوّل هذه الطقوس إلى نوع من الملكية، كما الملكية الفكرية. لكن يبقى الخوف عند التكرار أن تتحوّل إلى مسلّمات لا يناقش منفّذوها، معتنقوها، محبّذوها، وحرّاس هيكلها، أسبابها وغاياتها، ويعلقون مع أرجوحة الزمن في تفاصيلها فقط.

لا بدّ من غاية... لا بدّ من سؤال نجد جواباً له.

طقس

لماذا يقف هؤلاء القوميون ليل السابع من تموز يواكبون فجر الثامن من تموز مراحل إصدار الحكم وتنفيذ الإعدام؟

لماذا راق للبعض الكثير دمج الحكاية التموزية بحكاية الفداء التموزية لتموز نفسه ـ أدونيس، ليدخلوها في الأسطورة؟

أهو توق شعب للتعبير بهذه الوسيلة عمّا يختزنه من آلاف السنين حضارةً وعلماً وتقدّماً... ورموزاً؟

هل ما نقوم به تماهياً مع تاريخنا الذي أضعناه ولم نصدّق حين قبض أنطون سعاده على مفاصل مهمّة منه، وهو يبحث عن جواب لسؤال انطلق منه ككلّ دارس باحث: «ما الذي جلب على شعبي هذا الويل؟».

كلما انتزعوا شرارة من تاريخنا، نروح متشبثين بطقوسنا أكثر. كأنه دفاع ما عن كياننا، نحن المريدين.

نتوغّل في التماهي من أدونيس إلى يسوع الناصري إلى سعاده، وننتظر نبياً ينقذنا... ربما لكي نجعل منه ذكرى بعد قتله وإعدامه.

شهادة

لم أسمع يوماً من لسان قوميّ يقول الشهيد. مع أنه شهيد.

ألم تتآمر عليه الدول؟ ألم يرتكب من ارتكب الفعل بمحاكمة صورية من دون محام يدرس الملف ويرافع؟

ألم يُخف علمه وأبحاثه فرائص العدو الذي لا يزال يتربص بنا، مغتالاً المفكّرين والأدباء والقادة المتنورين الواعين خطورة هذا العدو في قلبه وتزييفه للتاريخ وفي اختراع دولة في بلادنا؟

لم أسمع يوماً عبارة الشهيد. أسمع «الزعيم»، أسمع «المفكّر»، «المصلح»، «عالم الاجتماع»... ولكن حتى في ذكراه لا أسمع عبارة الشهيد. لماذا؟

مرتكزات للانطلاق

في رحلة البحث عن المعنى، بعض المحطّات. ليست محطّات للركون والتوقف. هي محطات للانطلاق.

من دراساته في علم الاجتماع، كتاب «نشوء الأمم»، قرأت في الفصل الأخير:

«الأمة متّحد اجتماعي أو مجتمع طبيعي من الناس قبل كلّ شيء آخر. وكل ما مرّ آنفاً من العناصر هي أوصاف للأمة ناشئة من مجرى حياتها وتاريخها وهي قابلة للتطوّر والتكيّف فقد تتعاقب الأديان ويتحوّل الأدب وتتبدل العادات وتتعدل التقاليد وترتقي الثقافة في أمة من الأمم من غير أن يشوب سنّة نشوء الأمم شائبة ومن غير أن ينتفي وجود الأمة، إلى أن تزول الأمم والقوميات من الوجود ويصبح العالم كلّه متحداً اجتماعياً واحداً لا تفصل بينه فواصل أرضية أو اجتماعية أو اقتصادية».

أدونيس أسطورة. أي أدب خيالي تشي رموزه بمفاهيم معيّنة، بوسعنا دراستها.

سعاده، مفكّر ومؤسّس حزب على أساس النظرية العلمية في علم الاجتماع التي توصّل إليها في أبحاثه، من أجل النهوض بالأمة التي وجدها تنهض من مأساة لتقع تحت احتلال لتنازع لتنتفض ومن ثم تتقسّم إلى أجزاء وأجزاء.

دعونا لا نحوّل سعاده إلى أسطورة أدبية، أو دينية بطقوس تشبه الطقوس السماوية التي تقام على الأرض.

دعونا لا نعدمه بعد أن اغتاله الأعداء... أعداء الخارج وأعداء الداخل.

كما في السماء

ينظرون إلينا كما لو أننا خارجون من التاريخ، حين نتحدث عن تاريخنا الحديث. من المحطات، العام 1920، وإعلان لبنان الكبير بعد اتفاقية «سايكس ـ بيكو»، والتي تسجّل محطة من التقسيم.

لمجرد أن نسرد الواقعة، يقولون: «أين أنتم؟ في أيّ زمن تعيشون؟».

فالقبول بأمر وقع، سواء كان إيجابياً أو سلبياً، يعني لهم أننا ـ أي القوميين ـ نعيش في الماضي ولا نستطيع الخروج منه والتأقلم.

هذه الورقة من كتاب التاريخ لا تزال بيضاء. لم يدركها الاصفرار بعد. وعلى رغم ذلك، هذه التهمة التي تلبّس لنا، جاهزة دوماً حين نفتح فاهنا بالتاريخ الحديث، فما بالكم بالتاريخ القديم؟

الأخطر من إعدام الشخص وإن كان زعيماً بمفهوم الزعامة الذي وضعه سعاده، إعدام الفكر.

راسخٌ في الوجدان

■ زينب فياض

والدي كان في مراهقته من عشّاق أنطون سعاده، وأيّد فكره واعتنقه فصار سورياً قوميّاً اجتماعياً. وفي ظروف معيّنة، تحوّل فكر الوالد إلى تأييد الثورة الإيرانية والاقتداء بالإمام الخميني، وزرع حبّ المقاومة والالتزام فينا.

حينما بدأ مرض «ألزهايمر» يفتك بخلايا دماغه، نسي والدي أموراً كثيرة وأشخاصاً كثيرين: أحفاده، أقاربه، الصلاة والصوم. لم يعد يعي ما حوله. ولكنه، حين يُذكر اسم أنطون سعاده أو الزعيم، كان يجهش بالبكاء، ويردّد النشيد الخاص بالحزب السوري القومي الاجتماعي، ويظلّ يُحدثني عن «القومية» وبعض الأشعار التي حفظها عن الحزب القومي.

كانت الدموع ترافق كلّ حرف ينطق به. لم تعد ذاكرته تحتفظ إلا بالقليل من الأمور السياسية. شخصيتان فقط لازمتا خلايا دماغه وبقي والدي يعرفهما: السيد حسن نصر الله الذي كلّما أطلّ على الشاشة يردّد والدي: «الله يحميك يا سيّد»... وأنطون سعاده الذي كلّما رأى صورةً له... يجهش بالبكاء.

المنارة التي لن تنطفئ!

■ حنان عابد

يعود فجر الثامن من تموز كلّ سنة، حاملاً معه ذكرى ما غابت يوماً عن ذاكرة السوريين القوميين الاجتماعيين، وذاكرة انتصاراتهم، ومن يحملون فكره ونهجه. ففي الثامن من تموز عام 1949، نفّذ الجبناء مؤامرتهم ضدّ مؤسّس الحزب السوري القومي الاجتماعي أنطون سعاده، فكان أن حيكت خيوط المؤامرة في أقبية أعداء أمتنا من الخارج والداخل وسراديبهم.

يزخر تاريخنا بأسماء مناضلين وقادة استشهدوا في سبيل قضايا آمنوا بها، إما على مدى التاريخ القديم أو الحديث، لكن خصوصية أنطون سعاده تأتي من خصوصية الفكر الذي جاء به ليصارع أعداء أمتنا، فكان صراع وجود بالمطلق، تميّز بقيامه على أسس ثابتة الرسوخ، ترتكز على أدلة علمية وعملية، حدّد من خلالها أسباب الصراع وآلياته وطرق المواجهة والأهداف من وراءه. لم يكتف سعاده ببيان وكشف حقيقة عدو الأمة، بل ذهب قبل ذلك لبيان حقيقة الأمة نفسها وهويتها التي كان لا بدّ لنا من الوقوف للدفاع والذود عنها، فكيف لمن لم يعرف حقيقته وهويته أن يدافع عنها؟

في مفهومه للأمة والهوية والوجدان القومي، حدّد سعاده الدوافع التي ننطلق منها في حربنا الوجودية، فكان بذلك قد عين المشكلة، وضعها قيد التحليل، وشخّصها، ومن بعد ذلك قدّم الحل الشافي لها. وبهذا يكون قد ضرب المخطّط اليهودي في الصميم وعرّاه من كل القشور التي تخفّى حولها. لذا كان لا بدّ من وضع حدّ لهذا الفكر المهدد للوجود اليهودي، فبدأت المساعي لتصفيته واغتياله.

أيقن سعاده أن هذا الاعتقال سيكون الأخير، وأنه ذاهب بلا عودة، كان باستطاعته ومن معه من رفقاء أن يقاوموا ذلك الاعتقال، لكنه آثر حفظ دماء القوميين، وتقدم للفداء بكل خطى ثابتة، عرف أنه ذاهبٌ ليمتشق صهوة الموت فعانقه لينير درب من يأتي بعده.

وها نحن اليوم، على نهج سعاده الفادي، وما زالت قوافل الشهداء تعمد الأرض ويرويها طهر دمائهم، وحيثما طلبهم الواجب لبوا النداء، ولا أدل على عظيم النجاح لعقيدة سعاده وحضوره الحي، على رغم غياب جسده، أكثر من هذه الاستمرارية لحزبه وتلاميذه في كافة الميادين، فمنهم من تقدم للمواجهة بصدره وقدم دماه في سبيل قضية تساوي وجوده ووجودنا، ومنهم من يخوض غمار الكلمة والموقف فيسطرون أروع وقفات العز كل من مكانه ومسؤوليته وتكليفه.

من هذا كله تأتي خصوصية الثامن من تموز، فهو المنارة التي أضاءت سماء سوريا في 1949 وما انطفأت شعلتها إلى اليوم، تنير طريق أبناء الحياة، تعلن أن وقفات العزّ، تخلد ولا تموت.